

تخرج بصاحبنا عن
طوره . وكان ممن شهد
هذا الجدل الأخير
بينهما شخصان آخران
يدعى أحدهما كوكس
وتُدعى الثانية مس
مايبردج... وهي فتاة
وقور محترمة كانت

الْحَبْلُ الَّذِي صَنَعَ الْمُعْجَزَاتِ

لِلْكَاتِبِ الْأَمِّ كَلِيزِي وَلِز
بِقَامِ الْأُسْتَاذِ دَرِينِي خَشْبِه

تعمل نادرة في الشرب ، وكانت في تلك اللحظة
واقفة أمام الصنبور تنسل الأكواب والأشواب ،
بينما كان ظهرها إلى المجادل الثائر الذي كان يهر
زميله بنقاشه الرائع الطريف

وقد ضاق الأستاذ فذرنجاي بمجادله السيد
ييمش ذرعاً ، وأحنقه منه عِيَهُ وقلة فَهَمِهِ ،
فراح يهتف به : « رويدك ياسيد ييمش ! هلم تفهم
ماهي المعجزة وماذا تكون ... إنها شي لا يتفق
وقانون الطبيعة ، لأنه ضد لها ، ومع ذاك فهم
يقولون إنه يقع بقوة الإرادة ، وبشرط أن تنصب
عليه إرادة خاصة جبارة ... أليس كذلك ؟ » ويجيب
صانع الدراجات حسب عادته : « هكذا أنت تزعم ! »
فيعود فذرنجاي إلى حديثه وقد سره هدوء معارضه
وحسن إصفاؤه الذي هو أول أمارات التسليم ،
فيقول : « وإليك مثلاً يا صديقي ييمش هذا المصباح
الذي يضيء لنا الآن وهو في وضعه الطبيعي ؛ إذا
قلبناه رأساً على عقب ، فهل يمكن أن يضيء لنا
هكذا ؟ هل ذلك ممكن ؟ » ويرتبك ييمش قليلاً
ثم يقول : « أنت تزعم أنه لا يمكن أن يضيء ! »
— ولكنك أنت !! أنت ! ماذا تقول ؟

أكبر الظن أن هذه الموهبة الخارقة لم تكن
طبيعة فيه ، بل إنها قد جاءت عفواً ، ومن غير أن
يدري عنها شيئاً من قبل ؛ فلقد بلغ الثلاثين وهو
أشد ما يكون إلحاداً وكفراً ، وإنكاراً لهذه القوى
الخرافية الخارقة التي تأتي المستحيلات ... ولا يفوتنا
هنا أن نذكر أنه كان شاباً قصير القامة ذا كُنْ
الميتين ، له شارب لا يفتأ يغتل سباليه الرهفين ،
ووجه صارم به كلف خفيف ... أما اسمه فجورج
ماك رِيَسْتَر فذرنجاي ... وهو اسم لا يُم بحال
عن خافية صاحبه الكامنة التي تستطيع أن تأتي
المعجزات . وكان كاتباً في مشرب في جُومُشْتْ
يقال له مشرب التنين الطويل ، وكان لا يني بمجادل
أقرانه في استحالة المعجزات التي ينسبها الناس
لبعض من سلف من الأنبياء ورجال الكهنوت ..
ومن العجيب أن تصدر عنه أولى خوارقه أثناء
إحدى المجادلات الحادة بينه وبين معارضه المؤمن
العنيد : طودي ييمش صانع الدراجات الذي لم يكن
يملك أن يرد براهين خصمه بأكثر من هذه العبارة
القصيرة المقتضبة : « هكذا تقول أنت ... هكذا
أنت تزعم !! » تلك العبارة الملولة التي أوشكت أن

— لا ... لا يمكن ... لا يمكن !

— حسن جداً !! ولكن ربما جاء الآن أحد الناس ، وليكن أنا ، فيقول للمصباح ، ولأقلُّ أنا له بعد أن أستجمع كل إرادتي : « أيها المصباح ! انقلب رأساً على عقب ، واحذر أن تنكسر ، ثم ظل مضيقاً في هدوء ... هيا !! » . وحدثت المعجزة الأولى التي لا يمكن تصديقها ... فقد انتفض المصباح من مكانه انتفاضة انقلب بها رأساً على عقب ، وظل مضيقاً في هدوءه المادى ، مرسلًا شعلته إلى أسفل كما تعود أن يرسلها لتضيء مشرب التين منذ زمان وزمان ... وقد بهت أستاذنا فذر نجاي ... وظل واقفاً مكانه كأنما سمر فيه ، ماداً ذراعه ، مشيراً بسبابته إلى المصباح ، كأنما يتوقع أن يهوى فتحدث كارثة . وقد ذعر صانع الدراجات ففر هارباً ، وكذلك فر رؤاد المشرب هارين ... أما الفتاة فقد طار لون الورد من خديها ، وولت دُبرها صائحة صارخة مولولة ... وبقي المصباح معلقاً في هواء المشرب قرابة ثوان ثلاث ، ثم صاح فذر نجاي صيحة اليائس المحتق : « أوه ! إني لا أستطيع أن أهيمن على المصباح أكثر من هذا » ثم تراجع قليلاً فتأجج المصباح ، وترنح هنا وهناك ، وسقط في ركن المشرب فتحطمت زجاجته ، ولولا أن كان خزّانه من المعدن الصلب لانبجس واشتعل زيته ، واتهم الماخور^(١) بما فيه

وقد اتهم كوكس صاحبه بالغفلة والشعوذة ، واتهمه كل من كان ثمة بمثل ذلك ... أما هو ... أما فذر نجاي ... فقد وقف مسبوهاً شارد اللب ،

(١) ابن الأعرابي والثعالبي على أن الماخور مكان شرب الخمر أما صاحب القاموس فهو على أنه بيت الرية

لا يدري كيف يعطل ما حدث ، وكانت في ذهنه عاصفة هدارة من الأفكار المضطربة ، بيد أنه اضطر أن يهتم نفسه بمثل ما اتهمه الناس بجسارة لهم ... وأزعجه أن يقترح بمضهم طرده من المشرب حتى لا يعود إلى تمكير صفو السكان ، فراح يدفع عن نفسه حتى أبقى صاحب الحانة عليه

وعاد إلى منزله في الليل ودمه ينلى في عروقه ، وقد رفع بنية معطفه حول عنقه فشخصت أذناه من فوقها ، وراح يرمق مصابيح الشارع وهي تتوقد في خمة الظلام ... حتى إذا خلا إلى نفسه في غرفته الموحشة في أحد منازل تشيرش رو انحط في فراشه ، وطفق يفكر ويفكر ... ويسائل نفسه الداهلة الحيرانية : ليت شعري ماذا حدث ... ؟ ثم نهض نخلع معطفه ، وألقى بقمعته ، وجلس وفي نفسه هاتف يتردد في ثرثرة وعنف ، فيقول : « أبدأ والله ما قصدت أن ينقلب المصباح اللعين أبداً ! » ثم وقر في ذهنه كيف لم يستطع أن يهيمن على المصباح المتقلب ولا كيف يردّه إلى حالته الأولى . ولو قد عرف فيه هذا السر من قبل لهان الأمر ، فهو لم يَمُرَّن على تنظيم إرادته قبل هذا ، لأن المعجزة الأولى جاءت مصادفة وعفوَ لحظتها ... وعلى كل حال فقد بدا له أن يجرب مرة أخرى ، مادام المنطق لم يسمعه بدليل ما حدث

وكانت الشمعة التي أوقدها تضيء الغرفة في هدوء ، خدق فيها ببعصره ، واستجمع إرادته فسلطها عليها ثم هتف بها فقال : « إرتفعي ! » ... وكان يحسب أنه إنما يُشْعِمُوز حين يطلب إلى شمعة أن ترتفع من تلقائها ... لكنه سرعان ما فاء إلى نفسه حين رأى الشمعة ترتفع في الهواء فتغلغل

وكان كلما مد بصره في أغوار الوجود ازداد يقينه بما هو مضمر فيه من الإرادة الصافية النقية . والآن ، وقد شجته تجاربه البدائية فقد طمح إلى ما هو أكبر .. وأخطر .. فأمر ورقة فارتفعت في الهواء ، وكوباً من الماء فتحول ماؤه إلى لون القرنفل ثم إلى اللون الأخضر ؛ ثم أمر أن يكون أمامه مسار ، فكان ، ثم أمر أن يتجى فآجى ، وأمر أن يكون له (فرجون) أسنان ، فراه على المائدة أحسن ما يكون (فرجون) ... وآمن بعد هذا بما استودع فيه من إرادة خالقة خارقة كانت تبدوله إرهاباً فيها مضى ، وإن لم يكن يؤمن بها ، وانقلب ذعره وتردده وشكه فصارت كلها زهواً بهذه الميزة وكبرياء ... وأيقظه ناقوس الكنيسة من تأملاته حين دق الواحدة فعاود خلع ملابسه لينام ، كي يستيقظ في الميعاد الذى ينبئ أن يتسلم فيه عمله بالمسح ؛ ولم يدر فى خله أنه بهذه الموهبة الكامنة فيه يستطيع أن يستغنى عن عمله ثمت ... ودار فى ذهنه أن يأمر فيكون فى فراشه ... وكان له ما أراد ! ! ثم أمر أن تنضى عنه ثيابه فأنسل منها كأسرع من البرق ! ثم أمر أن يكون له قميص من صوف ناعم فأسلك فيه ! ثم أمر أن ينام نوماً عميقاً هادئاً فنط فيه للحظته ! ! !

واستيقظ فى ميعاده ، وجلس إلى مائدة فطوره وهو مشغول البال بجيش الفكر ، يسأل نفسه إن كان ما حدث له أمس ضرباً من أحلام اليقظة ؟ ثم رأى أن يحاول تجارب جديدة ، فأمر ، فأحضرت أمامه بيضتان من فوق الرف وضعتهما عليه صاحبة البيت ، ثم أمر ، فأحضرت بيضة أوزة كبيرة ، بيضت وسلقت ، ونزعت عنها قشرتها بحيث لم يحدث ذلك

معلقة لحظة يسيرة ، ثم تسقط فوق مائدة دمامه^(١) حين يغفل عنها لما حاول أن يتنفس صعداء مما اعتراه من الدهش ... وبقي يخبط فى ديجور لا يكشفه إلا الدبالة التى توشك أن تنطق .. وجلس فى ظلام الغرفة يكلم نفسه ويتاجبها ، فيقول : « ها هو الشيء قد حدث مرة أخرى ! وكيف حدث ؟ لا أدري ، ولكنه حدث على كل حال » . وبحث فى جيبه عن علبة الثقاب ليوقد الشمعة ، فلم يجدها ، فبدا له أن يجرب إرادته فى الحصول على ثقاب بطريق المعجزة فد يده فى الظلام الحالك ثم تجهم وقال : « ليكون ثقاب فى يدي تلك ! » وما كان أعجب أن يحس جسماً لطيفاً يقع فى راحته ، حتى إذا تحسسه وجده الثقاب الذى طلب ... وحاول أن يشعله فلم يفلح ، لأنه كان من الكبريت الأمين^(٢) ، فألقى به . ثم بدا له أن يخضعه لسلطانة الإرادة ، فأمره أن يشتعل فاشتعل ، فتناوله من فوق المائدة ليوقد الشمعة ، لكنه انطفاً قبل أن يفعل ... وهنا اتسع أفق إدراكه عما يحتمل أن يتأدى له على هذا النحو ، فتحسس الشمعة فى الظلام ومبتهل فوق (شمعائها) ثم هتف فقال : « ها أنت هنا فأضيئي ! » وأضاءت الشمعة .. ونظر فذرى نجوى فرأى ثقاباً فى غطاء المائدة يتصاعد منه دخان خفيف ، فخدق فيه بصره ، ثم رفعه إلى المرأة المعلقة أمامه فإذا وجهه ، وإذا عيناه العميقتان توحيان إليه من عالم مجهول .. وللحال ... انطلق يخاطب نفسه : « وبعد ... فما أنا والمعجزات الآن ؟ ! » . . . وكانت تأملاته من نوع عميق وإن كانت مختلطة ببعض الشيء ...

(١) الدمام (التواليت)

(٢) فريب استحضار Safety Match

عصا (طنهوسر) لما راقه من جمال إنجازها ... فرشق عصاه في طرف الطريق المشوشب ، ثم حلق فيها قليلا ، وأمرها أن ترهر ! تعالى الله ! لقد عبق الهواء حول فذر نجاي بشذي عطري حلو ملأ خياشيمه حتى كاد يسكره ... وطرب أيما طرب ، ثم أخرج علبة الثقاب فأشعل واحداً أبصر في ضوئه هذه الباقة الناضرة من ورود الربيع نامية في رأس عصاه كأجل ماتمو الورود في الجنة الفيحاء ؛ وخشى أن ينكشف سره قبل الأوان فهتف بالعصا فقال : « إرجنى ! » وكان يعنى أن تعود العصا لما كانت عليه من الانجراد قبل ، لكن ... والأسفاه ؛ لقد ارتدت العصا إلى وراء في شدة وعنف ، فأصابت رئيس شرطة كان ماراً في هذه الآونة ، فجعل يصخب ويقول : « من المجنون الذي يقذف المارة بالعوسج ويدمهم بالشوك ؟ » فقال فذر نجاي مرتبكا : « آسف جداً أيها الأخ » لكن رئيس الشرطة ، واسمه ونش ، تقدم نحو أستاذنا مرغياً مزبدا ، ثم أمسك بشاربه بقوة وقال : « ماذا تعنى بهذا ؟ هيا ! أوه ! أهو أنت يا أحيق ؟ ألم يكفك تحطيم المصابيح في الشارع ؟ » فقال فذر نجاي : « أنا لأعنى شيئاً قط ... أبداً ، أبداً » فقال الشرطي « وفيهم قذفها إذن ؟ » قال هذا وشد شارب فذر نجاي ، ثم قال أيضاً : « لقد حطمت مصباح التنين ، ولم يبق إلا أن تشاكس رجال الشرطة بمصاك ! » فقال الفتى يجيبه : « أنظر هنا يا مستر ونش ! الحقيقة ... أنا ... نفي كنت أجرب معجزة ... » فقال الشرطي مستهزئاً : « تجرب ... أنت ؟ بل كنت تشاكس الناس فحسب لأنك من دون العالم جميعاً لا تؤمن بالمعجزات ... وأنا من دون الناس

فيها إلا من خرم صغير ... وكانت ألد من البيضتين الآخرين وأشهى ... وهرول إلى المشرب وهو ما ينفك يفكر في الأعاجيب التي صنعها ؛ ولم يعمل شيئاً ما من أعمال المشرب كما كان يعملها قبل أن يكتشف في نفسه هذه القوة الخارقة ، فقد انتظر حتى لم يبق عن موعد انصرافه غير عشر دقائق ، ثم أمر أن تتأدى جميع أعمال اليوم ، فحصل له ما أراد ... ! وحدث ما شئت عما شاع في أعطافه من الزهو الذي طغى عليه حتى جعله لا يأبه بما تهكم عليه عرفاؤه به ... بيد أنه كان زهواً مقروناً بتعجبه هو من نفسه ، إذ كيف أصبح يستطيع أن يرفع بنظرة ناقية مادة هشة - كتراب لفاقة التبغ مثلاً - إلى ما هو أكبر من ذلك وأخطر ... ؟ والشئ الوحيد الذي لم يفكر فيه هو الاستعفاء من عمله في هذا الماخور القدر الذي أصبح لا يتفق وأعجب موهبة من نوعها في العالم ! وقد رأى أن يصلح من شأنه بشئ من عزائمه ، فطلب أن يكون أمامه ماستان من أندر الماس الموجود في الدنيا ، فسكانتا أمامه في أقل من غمضة عين ، لكنه أمر فاحتا عند ما شاهد جومشت الصغير مقبلاً نحوه ، خشية أن يشير شكوك الفتى في المصدر الذي وصلنا إليه منه ... وآثر أن ينطلق إلى الخلاء فيجري هناك تجاريه .. وكان هو في نفسه مفتقراً إلى حسن الذوق وسلامة الابتداع ، ذلك أنه برغم موهبته المدهشة لم يكن شخصاً ممتازاً فيستطيع الابتكار والتجديد ، لذلك تبادرت إلى ذهنه معجزة موسى وعصاه السحرية .. لكن فكرة الثعابين الهائلة التي تتحوى وتسمى في ظلام هذا الليل البهيم أزعجته ، فأعرض عن تجربتها وآثر أن يجرب ما قرأه مرة في أحد الاعلانات عن

جميعاً سأريك قيمة تعزيماتك ... » وثار ثائر فذرنجاي من غلظة الشرطى فصاح به : « أجل .. إن لدى هنا قدرًا هائلًا من التعزيمات المخيفة ، وسأريك واحدة منها ، فهلم ... إنطلق إلى هيدز .. هيا إلى الجحيم ! إذهب ! »

وفي لحظة نظر الفتى حوله فلم يجد إلا نفسه ! ولم يحاول أن يعمل معجزة ما هذه الليلة بعد هذا ، بل انطلق إلى داره من غير أن يلتفت إلى عصاه المزدهرة ، ونضا ثيابه ، واستلقى في سريره في كلال وفي ... هدوء ... وجعل يفكر في هذه القوة الخارقة المستورة فيه ، وفي رئيس الشرطة الغليظ المستر ونش ، وفي هيدز : « هيدز العجيبة التي لا أعرف عنها شيئاً ! » وخطرت له فكرة عجيبة حينما نهض من فراشه ليخلع حذاءه ، ذلك أنه شعر بألم وحسرة على ونش ، خشية أن نصيره نيران هيدز حطاماً ، فأمر به أن يُنقل إلى مدينة سان فرنسكو ! وتبسم ساخرًا من نفسه ، ونام نومًا هادئًا ، وحلم أحلامًا لطيفة عن ونش ! وفي اليوم التالي ، سمع نبأين عجيبين جعلت ألسنة الناس تلهج بهما في تكدُّر ودهش ، ذلك أن بعض الآلهة قد أُنبت شجرة غريبة من أزهى أنواع الورد المتساق تلقاء منزل المستر جومشوت في طريق (لولابورو) ... وأن النهر قد غار في الأرض على مدى (دولنجس ميل) من أجل رئيس الشرطة ونش ... وظل فذرنجاي يصنى إلى كل ذلك ويستهل ما تصنع قواه الخارقة ! وظل يفكر في حاله طوال يومه هذا ، ولم يأت من خوارقه شيئاً إلا أن أرسل إلى ونش بعض ما لا يستغنى عنه في سن فرنسكو من مال ولباس

وغداء ! ولا إنجاز أعمال المشرب بالطريقة الارادية وكان يتفق أن يذهب المستر فذرنجاي في أمسيات أيام الأحد إلى كنيسة قريبة ليستمع إلى نصائح القس المؤمن المتزمت المستر مايدج وعظاته المحشوة بالسمعيات العجيبة ، التي لم يكن يؤمن فذرنجاي بشيء منها لما كان يساوره بصدها من شكوك وريب .. وكان القس يلقى عظة موضوعها (الاشياء التي ليست طبيعية) وقد أفاض في ضرب الأمثال بإفاضة ألفت بصيصاً من النور في ذهن فذرنجاي ، فخطر له أن يستفتيه في أمره بعد أن يفرغ من إلقاء موعظته ، وبعد أن ينتهي من قدَّاسه^(١) .. وقد عجب لِمَ لَمْ يَفْعَلْ ذلك من قبل . والقس مايدج رجل نحيف معروق تنظر إليه فتحسب أنه نضو ، ومع ذلك فله رقة طويلة ونظرات متقدمة مؤثرة ومعصمان مفتولان ... وقد عجب حين ذكر له رسوله أن شاباً معروفًا برقة تدبته واستهتاره في المدينة يقضى لقاؤه ليتحدث إليه حديثاً خاصاً وكأنما تعتمد القس أن يهمل الفتى ويستأنى عليه ، ثم أرسل إليه رسوله فحضى به إلى منظره مجاورة أفردها القس للقراءة والاستذكار ، فجلس الفتى على كرسي نغم صريح قريباً من نار المدفأ المتأجج ، ولف ساقاً بأخرى فأحدث ظلاً على الحائط القريب يلفت النظر بأخفائه العجيبة ... ، ... وسأله القس عن حاجته ، فارتبك الشاب وتندَّى جبينه بعرق الحجل ثم لم يجد بداً من الكلام فقال : « من الصعب عليك يا مستر مايدج أن تصدق ما سأرويه لك .. » ثم باع ريقه مرة بعد أخرى ، وطفق يحوم حول موضوعه ولا يكاد يبين ، حتى إذا لاحظ ملال القس

(١) كلمة نصرانية مولدة لم نعر عليها في المراجع العربية

تفعل؟ أم أنك تقدر على أشياء أخرى؟» فقال الشاب: «أجل أيها السيد! أنظر... أيها الطاس تحول إلى وعاء من سمك... أوه! لا... تحول إلى وعاء زجاجي ممتلئ بالماء، وليسبح فيك سمك من ذهب... فهذا أحسن! أنظر يا مستر مايدج! هل رأيت؟» فدهش القس وقال مخاطبه: «عجيب حقاً! هذا لا يمكن تصديقه! إني لأظنك... ولكن... لا...» قال فذر نجاي: «إني أستطيع أن أحوّله إلى أي شيء... أنظر... أيها الوعاء... كن حمامة... هيا!» ودار الوعاء فصار حمامة زرقاء جعلت ترف في فضاء المنظرة، فكان يرتجف القس كلما اقتربت منه... «قفي مكانك!» ووقفت الحمامة مُرْتَقَةً في الهواء، فأمسك بها فذر نجاي ووضعها على المنضدة، ثم قال مخاطب مايدج: «والآن أحسبك لهفان على علبة طباقيك أيها الأب! هيا أيها الحمامة... عودي كما كنت... علبة طباقي الأب...!» وانسحرت الحمامة فكانت كما أرادها الفتى أن تكون!

وكان القس ينظر مسحوراً ولا ينطق... ثم تناول علبته فقلّبها، ووضعها حيث كانت، ولم يزد على أن قال: «حسن!» وراح الفتى يذكر تجاربه السابقة، مبتدئاً بحادث الصباح... وأخذ القس يهدأ قليلاً مما استولى عليه من الدهش، فانطلق يقول: «كل هذه غرائب مدهشة... لا جدل في ذلك... مهما يكن فيها من الألغاز التي يصعب تعليلها... إنها موهبة هذه القوة الكامنة التي تصنع المعجزات... إنها قوة سادسة كالبصر أو السمع أو الشم... ومن هنا شذوذها وندرتها، وحدوثها صدفةً ولأشخاص قليلين، ولكم عجبت

سكن قليلاً وسأله عن رأيه في المعجزات... وكان المستر مايدج لابني يقول: «حسن... حسن جداً!» كما قال فذر نجاي شيئاً — وأحسبك لا تصدق أن بعض الناس كشخصي الضعيف مثلاً، يستطيع وهو جالس هنا أن يصنع أشياء من قبيل المعجزات بقوة خارقة كامنة فيه»

— ولم لا؟ إن هذا محتمل جداً — وإذا كان لي حرية التصرف هنا فربما أربّنتك شيئاً من تجاربي... فمثلاً... علبة طباقيك هذه... أإذا حولتها لك إلى شيء سترى أنه عجيب حقاً، فهل يكون عملي معجزة أم لا يكون؟ أنظر يا مستر مايدج... أيها العلبة... كوني طاساً من أزهار البنفسج!

وما كاد يأمرها ويشير إليها بسبابته حتى كانت طاساً جميلاً منصوراً بأنيع أزهار البنفسج... وقد قفز القس مذهولاً، ووقف ينظر إلى الزهر ولا يتبس وإن جعل ينحن فيئنة بعد أخرى يتشمم العبير المتأرجح العبق... ثم سأل الفتى كيف صنع ذلك؟ فقال وهو يفتل شاربه: «ها قد شهدت بعينيك، فماذا تسمى هذا؟ أليست هذه معجزة، أم هو ضرب من السحر؟ ثم ماذا تظن في هذه القوة الكامنة؟ إني من أجلها سمعت إليك لتجلوها لي!» فقال القس: «حقاً إنه لحدث فذ ليس مثله حدث!» فأجابه الشاب: «والعجيب أنني قبل أسبوع لم أكن أعلم أن لي هذه القوة الخارقة التي اكتشفتها عفواً، وإني أعزو أمرها إلى جانب شاذ في إرادتي لا أكثر ولا أقل!» وسأله القس: «وهل هذا الذي صنعت هو كل ما تستطيع أن

لمعجزات محمد وبوحي ومدمام بلافاتسكي ... ولا جرم أنها موهبة تفرد بها هؤلاء ... وقد كانت دليل الفكر الكبير دوق أرجيل ، وبرهانه الدامع ، وحجته القاطعة ... وهنا ، بيد هذا القانون العميق الذي يتضاءل بجانبه قانون الطبيعة العادل ... أجل ، أجل ... قل ... قل ... » ... ثم وصل فذرنجاي حديثه ، وأبدى أنه لما لحق برئيس الشرطة المستر ونش من (تمزيته) فقال : « والذي أهتمني أكثر من أي شيء هو هذا المستر ونش ، الذي أرسلته إلى هيدز أولاً ، حتى إذا خفت عليه من نيرانها بمثت به إلى سن فرنسيسكو ، وهو من غير شك فيها الآن ، وقد خشيت أن تكون ثيابه قد (تشعوطت !) في هيدز فأمرت أن ترسل إليه بذلة تستره وهي من غير ريب قد وصلت إليه ... ولا بد أنه الآن مغيظ مخفق بما حدث له بسببي ، بل هو يحاول جهده أن يحصل على ثمن تذكرة ليبحر من فوره إلى هنا ليلقاني ... مسكين ؟ ! إنه يضرب أخماساً لأسداس في تعليل ما حصل له ... وأنا مثله في حُجب كثيفة من عدم إدراك ما يصدر عني ! ! » ... وهنا قال القس : « وأنا أيضاً أرى أنك تضرب في ظلمات لا أدري كيف تخرج منها ... وعلى كل حال ، فلندع مسألة المستر ونش الآن ، ولنتحرر المسألة الكبرى أولاً ... إنني لا أعتقد أن ما يصدر عنك هو ضرب من سحر أو نحوه ، وأعتقد أيضاً أنه لا أثر للجريمة فيما تفعل ... اللهم إلا إذا حاولت أن تحوِّز ما للغير بهذه الوسيلة ... لا ... إنها معجزات من غير شك ، ومعجزات من نوع راق رفيع ! » وانطلق المستر مايدج يطري أخانا فذرنجاي ، وفذرنجاي مخلوق فيه ، مقبل عليه ... أو قل ... سامٍ عنه ، بدليل

مفاجأته للقس بقوله : « ومع هذا فلا أدري ماذا أصنع لأنقد المستر ونش ! ! » ، فدهش المستر مايدج وقال : « بما أن لك هذه القوة الخارقة التي تصنع المعجزات فليس أيسر عليك من عمل معجزة تعيد بها ونش ... فاطمئن وهدئ روعك ... سيدي فذرنجاي ! إنك شخص هام جداً ، وضروري لإصلاح هذا العالم الشائه ، فهل فكرت في شيء تسديه إليه ؟ ! » وقال فذرنجاي بحبيبه : « أجل ... فكرت في شيء أو شيئين ... ولكنني كنت أشعر دائماً أنها أعمال مزورة ليس فيها من الحق شيء ... أرايت الوعاء الزجاجي الذي سبحت فيه سمكات الذهب ؟ ! أمعقول هذا ؟ ! أرايت سمكاً من ذهب قط ؟ ! حبذا لو كان حياً حقيقة فكنت أنفع به الناس ! » . وصادفت هذه الأمنية هوى في فؤاد القس فهش للفتى ونش ، وأثنى على نزعة الخير التي عبر عنها بلسانه ، ودعاها سبيل الرشاد ؛ ثم اقترح أن يأخذا في تجربة قوة فذرنجاي فيما يعود على الناس بالخير ... ونوثر أن نسجل تاريخ تلك الليلة الهائلة ... الليلة العاشرة من نوفمبر سنة ١٨٩٦ لما تم فيها من الأمور الجسام التي لا يتصورها عقل ، ولا يمكن أن يصدقها أحد ، لأنها لو كانت حقاً — وهي حق لا ريب فيه — قد وقعت ، لجزم القاري أو القارئة أن في وقوعها خراب العالم أو موت من فيه من الخلائق على الأقل ... على كل حال ، ليس هنا نهاية القصة ... فليتصور القاري ما يشاء ... ونقول نحن ، إن فذرنجاي أخذ في صنع معجزاته بالعشرات حتى تشجع وقوى قلبه ، وذهب مايدج يحفره ويحرضه ، ويفر به بما هو أخطر . وكانت أولى المعجزات الكبار أن طلب المستر مايدج من صاحبه الشاب أن يحضر له عشاء يُنسيه رداءة

من ثقب ضئيل في باب غرفتها ! تبدل شامل طراً على السيدة يا فذرنجاي ! لقد هبت من غفوتها ريانة فينانة فأخرجت من صندوقها زجاجة بكرة من النبيذ لتشربها جرعة واحدة !

واقترح القس على صاحبه جملة مقترحات عجيبة كانت في سبيل الخير جميعاً ، فقد انطلقا في البرد القارس ، ونحت القمراء الزاهية ، عبر ميدان السوق الكبير ، حتى إذا انتهيا إلى القسم البرلماني المعروف بكثرة فسّاقه وسكيرييه ، شرعا في عملهما الإصلاحي الجليل ، فانزع فذرنجاي ماني نفوس أولئك الساكنين من حث ، وأمر فتحولت الخمر التي في جميع الحانات إلى ماء عذب قراح . ثم انطلقا إلى الخلاء فأمر فذرنجاي برك فلندرز ومستنقعاتها ففاضت في الأرض ، واهتزت وربت وأصبحت مزارع مبسوطة ترعى نباتها وبساتينها بعد أن كانت مصدراً من أخطر مصادر الحيات والطواغين . وفي طريقهما إلى المدينة عرجا على محطة السكة الحديدية فأحدثا فيها إصلاحات شتى ، وأقام أبنية شاهقة مكان الأبنية العتيقة التي أصبحت لا تتفق وعظمة الحى التي تقع فيه ... وكان المستر مايدج ينظر إلى هذه الخوارق التي يأتيها فذرنجاي بمجرد الإشارة والإيماء ويكاد يزيغ بصره ... « ليت شعري ماذا يقول الناس غداً ؟ لاجرم أنهم سيدهشون وينسبون ماتم إلى شياطين سليمان ! » والتفت إليه فذرنجاي فجأة وقال : « أيها الأب ... الساعة الآن الثالثة ، ولا بد لي من أن أذهب فأنام ، فأني أتسلم عملي في الشرب في الساعة الثامنة ... » فنظر إليه القس مسبوهاً وقال : « وكيف ؟ إننا مازال في بدء مشروعاتنا يا فذرنجاي تذكر يا رجل أنك تسدى أحسن الأيادي للإنسانية ولصالح الناس ... بل ينبغي أن تستمر أيها الأخ ،

الأطعمة التي تعافها النفس والتي تطهها السيدة منشن صاحبة بيته ... وهش فذرنجاي للفكرة ، وكان مولعاً بالأرانب الأيرلندية فأمر أن يؤتى إليه بطبق حافل بها ، فما هو إلا أن دعا حتى كان أمامه الطبق ، وفيه شواء الأرانب المطلوب وقال لصاحبه وهما يلتمسان الطعام : « وبناء على ذلك فأني أستطيع أن أساعدك في كل ماله علاقة بمنزلك يا مستر مايدج ! » ... وطرب القس ، وملاً كأسه من نبيذ برغند العتيق الذي أمر فذرنجاي فجئ به إليه به بطريق المعجزة أيضاً ، وبعد أن تجرعها ، وتجشأ مرتين أو ثلاثاً نظر إلى الفتى وقال : « فكرة والله ! لقد طالما تمنيت أن يصلح الله من خلق المسز منشن قليلاً ، فيذهب بما يشينها ويعض الذي يجعلها قبيحة في أعين الناس ... ولست أدري إن كنت تستطيع أن تحدث أنت ذلك ؟ إنها الآن نائمة في فراشها ، وقد صارت الساعة الآن الحادية عشرة ... فهل يمكن ؟ هل يمكن يا فذرنجاي ؟ » وقال الفتى : « لا أحسب أن هذا شيء غير جائز ، مهما تكن المسز نائمة ! » . وأصدر أوامره في سكون ، ثم أخذ في طعامهما وشرابهما كأن شيئاً لم يحدث برغم الثورة الهائلة التي كانت تحتاج نفس القس وتطحن على شعوره ، وتشوقه الشديد إلى معرفة ما إذا كانت المسز ستخلص من مقابحها بفضل فذرنجاي أم لا ... ؟ ولم يطق أن ينتظر حتى الصباح ليرى ماذا تم من ذلك ، بل قام بعد أن قرغ من عشائه السحري ، وانطلق إلى منزله فغاب فيه سوياً ، وظل فذرنجاي ينتظره ، ثم عاد مهللاً الوجه بادى البشر ، مُفترّاً عن ابتسامة مشرقة ، وأنشأ يقول : « مدهش ! مدهش جداً ، وعجيب حقاً ! بعثتُ جديد وحياء جديدة تنسرب إليها

رفاته جذاذاً... وهكذا كان حظه حسناً هذه المرة
فلقد هبط إلى الأرض في سرعة فائقة ، فاستوى
قائماً فوق كتيب مهبل أعدته له المعجزة في سرعة
البرق لتقيه من الصدمة الهائلة ، ولتنقذه من الارتطام
بالحجارة والمادن الذائبة التي تشقق عنها سطح
الأرض فبرزت من جوفها كالحمم ، وتطايرت عن
يمينه وشماله كالصواعق ، بل أشد وأنكى ... ورأى
حوله أهوالاً جمة ومصائب عاتيات تحدث بالقرب
منه ولا يبدى حراكاً ... فمن ذلك أن بقرة ذلولاً
اصطدمت بأحدى هذه الصواعق فانفجرت وتناثرت
أشلائها كأنما هي بيضة صغيرة وطئها فيل عظيم..
ثم عصفت حوله الرياح الهوج فبعثرت في الأرض
والسما شواظاً من حديد ونحاس فوقف مهوئاً
لا يدري أين هو ولا أين يذهب ... ثم ذكر الله
فقال: «رباه ! غفرانك اللهم ! هل أسأت أم عصيت !
إن هذه مسيحة كصيحة يوم النشور اعواصف ويزوق
ورعوداً وقبل دقيقة واحدة كانت القمرء تغمر السهل
والجبل والوادي في روعة وبهاء ! رباه ! اكشف
هذه النعمة تباركت وتعاليت ! لست أنا الذي رسمت
هذا ، بل إنه قسك مايدج هو الذي وسوس إلى !
ولكن ... أين هو ؟ ! يا للورطة التي أتى بي وبنفسه
فيها ! إن السماء صافية ، والكواكب متألفة كما
هي منذ الأزل ، والقمر جميل في أوجه ، فما لهذه
الأرض عابسة بأسرة هكذا ، وما لهذه الزوابع !
إني لم آسر أن يكون فيها شيء من ذلك فإذا
جري ؟ ... أوه ! ! أين المدينة يا ترى ... ؟ وأين
الجسر ؟ وأين المصابيح التي كانت قبل دقيقتين
تنعكس أضواؤها في الماء ؟ ! ... واشتدت
العاصفة فسقط السكين يتقلب في الوحل ، وكما حاول
النهوض عاد فكباً ، وآثر أن يظل على أربع آخر

وأن تستكثر من هذا الخير ... أنظر ... ألا ما أجيل
هذا البدر وما أروع ! « . فقال فذر نجاي : « حقاً
إنه جميل رائع ! « فوسوس له القس : « أليس من
خير الإنسانية أن تقفه حيث هو يا فذر نجاي ؟ ! «
فارتجف الشاب وتعم يقول : « وى ؟ ! أف القمر
عن دورانه ؟ ! هذا كثير ! « . فقال الأب وقد
سحرته الفكرة : « ولم لا أيها الصديق ؟ رقفه !
إفعل ! أي خير في ظلام الليل وكله شرور وآثام !
صره يقف يا فذر نجاي بالله عليك ... إنك تستطيع
ما هو أجل من وقف دوران القمر ... وما دمت
قد خرقت قانون الطبيعة فلا بد أن تخرق قانونها
في القمر أيضاً ... إنك تقدر أن تقف دوران
الأرض التي هي أعظم منه أضمافاً مضاعفة ... ثم
أنت لا تحدث شراً إذا وقفته ، ومادام كل ما تصنع
من أجل الإنسانية فماذا يزعجك ... ؟ « ...
واستطاع الأب الشيطان أن يتلف كل شيء بما
وسوس في صدر الشاب ... ووقف فذر نجاي
وقفة رهية ولكنها مصممة وزرر سترته ، وسعل
سعلة غريبة ، ثم استجمع روحه وإرادته جميعاً ،
وحلق في البدر الفضى حلقة شديدة ثم قال : « قف
دورانك أيها القمر يا ذنى ! قف !
يا للكارثة !

لقد انقذف الأستاذ فذر نجاي في الخواء انقذاً
هائلاً وبسرعة عشرات الأميال في الدقيقة ، وذهل
عن نفسه لحظة ثم أفاق فراه يرف في الفضاء اللانهائي
ويرف ويطوى عالم الأثير كما يطويه الشهاب الراصد.
وللحال خطر له أن يأمر فيكون فوق سطح الأرض
فقال : « لأهبطن إلى الأرض سالماً آمناً ! هيا ! «
ولو قد تأخر قليلاً فلم يخطر له أن يأمر هذا الأمر
لشاطت ثيابه كلها ، ثم لاحرق جسمه ، وانتشرت

مسحاً ؟ ولقد انقذف كل ما كان فوقها — بما في ذلك القرية (المدينة) وفذر نجاي ومايدج ، وجميع الحيوانات والوحوش والشجر وأعمدة التليفونات وعمارات الفلاحين وكل ما تنأ على سطح الأرض بسرعة تسعة أميال في الثانية (كذا) أى أسرع مما إذا قذفوا من فوهة مدفع ضخيم

ولقد سددت نفس فذر نجاي ، وسخط على القوة الكامنة فيه والتي بها صنع كل هذه المعجزات ... ووقف في هذه الدنيا المبهارة ، وتحت البرد الذى أخذ يرحم وجهه ويحصب رأسه ، والطوفان الذى بدأ يعب عبايه وترخر أمواجه ... ولم يدر ماذا يكون من أمره ... ثم رق البرق فلمح موجة عالية كالجلجل مقبلة نحوه في سرعة فائقة فتوشك أن تبتلمه ، فسمع نفسه بصرخ قائلاً : « إلى يا مايدج ! إلى ! وأنت أيتها الموجة قفي مكانك ! قفي بالله عليك ! وأنت أيتها البروق ويا أيتها الرعود اهدئي لحظه حتى يشوب إلى رشدى ... أوه ياربى ماذا أصنع ؟ لشد ما أرجو أن أرى مايدج ... ولشد ما أرجو أن أصلح كل ما أفسدت ... » وكان قد نسي أن يستطيع أن يقف كل شيء لو أراد ، إذا سلط عليه شعاع إرادته الصارم ، فلما ذكر ذلك صاح مبتهجاً وقال : « أوه ! ذكرت ! ذكرت ! »

ثم لوى رأسه نحو الزوبعة ، وبرق فيها عينيه ، وهتف يقول : « والآن ، ليذته كل شيء ... لتسكن الريح ... ليصمت الرعد ... ليذهب البرق ... ليدر القمر دورته ... وليعد كل شيء كما كان ... لنذهب تلك المعجزات عني فاني كرهتها ... ولتكن لي إرادة عادية كإرادة أى كائن من الكائنات ... »

الأمر ... ثم جعل دبره للريح ، وغطى رأسه ووجهه بسترته ، وعاد بهمهم ويقول : « لا جرم أنه قد حصلت غاطة هائلة ، ولكني لا أعلم ما هي ... » وأخذت العاصفة تزجر حوله ، وتنثر الحجارة والأشجار والحرايب فتجعلها ركاما ... ولم يعد يرى المسكين شيئاً من المهار في الرحب الوحش الذى وقف مختلطاً بين أنقاضه ، ثم ساد الظلام فجأة ، وغاب عنه ضوء القمر الذى كان يسطع منذ هنيهة ، فتضاعف ذعره ، وتمزقت أعصابه ، ولم يدر ماذا يصنع ...

لقد أمر فذر نجاي القمر أن يقف ففعل ؟ فقيم هذه الزوبعة وذلك التخريب ؟

أو ه ! لقد أصدر المسكين أمره الأراذي الجبار ، ولم يتخذ قبل ذلك حيطته ؛ فهو كان يحسب أن وقوف القمر عن دورانه شيء هين لا تكون له نتائج على الأرض التى يقف هو من فوقها ... ولم يكن يعلم أن هذا الكوكب الذى يقطع في الساعة الواحدة مئات الأميال إذا وقف فجأة ، صنع ما يصنع القطار بركابه إذا وقف بهم في أقصى سرعته ... إنه يرضهم إن لم يسحقهم ... فسا بال كوكب بأكله ؟ ... ثم دوران الأرض نفسها ، وهي هذا الكوكب السيار العظيم الذى يقطع في دورانه حول نفسه أكثر من ألف ميل في الساعة^(١) ، فإذا تعرض القمر الذى وقف فجأة لجاذبية الأرض التى تدور أمامه بهذه السرعة الهائلة ، فماذا يكون غير هذه الزوبعة الهائلة العاتية التى مسحت وجه البسيطة

(١) يحيط الأرض يقرب من ٢٥٠٠ ميل وهي تدور حول نفسها مرة في كل ٢٤ ساعة ، فتقطع في الساعة أكثر من ألف ميل كما هو في سياق القصة أى عشرة أضعاف سرعة قطارات (الاكسبرس)

كان يستولى عليه ، لكنه لا يدري ماذا كان باعته
وهكذا عاد كل شيء إلى ما كان عليه ...
حتى ذاكرته وعقله ... وحتى عدم إيمانه بالمعجزات ...
بل لقد فعل النسيان فيه أفاعيله ... فهو لا يذكر
شيئاً مطلقاً مما ورد في هذه القصة مع أنه بطلها

-- إنى مازلت مستمسكاً برأى في هذا الموضوع
فالمعجزات لا يمكن بحال أن تقع ، وأنا مستعد
لإقناعك بذلك حتى تنكرها كما أنكرها أنا نفسى !
— هكذا تقول أنت ... هكذا أنت تزعم

— اصغ إلى يا مستر بيمش ... هلم نتعرف
ماهى المعجزة ... إنها شيء يخرق قانون طبائع
الأشياء ... إنها شيء عكسى لقانون الحدوث
يزعمون أنه يحصل بقوة الإرادة

دربنى ضربة

لا أريد أن يطعننى شيء ما فى هذا الوجود ...
ليت شيئاً مما حدث من معجزاتى لم يحصل ... هذا ،
ولأعد أنا إلى مشرب التين ، وليكن كل شيء
فيه كما كان قبل أن ينقلب المصباح اللعين ... حقاً إن
كل ذلك لو تم لكان خيراً ولكانت أخرى معجزاتى
ليكن كل ذلك حين أقول (هيا) ! ! »

ثم لصق بالأرض وأغمض عينيه وقال بكل
ما بقى فيه من قوة :

« هَيَّا »

وهدأت العاصفة ... وعاد كل شيء كما كان !!
وسمع صوتاً بالقرب منه يقول : « هكذا أنت
تزعم ... هكذا أنت تقول !! » فلما فتح عينيه ،
وجد نفسه فى المشرب يجادل صاحبه طودى بيمش
فى حقيقة المعجزات ... وشمر كأن إحساساً حاداً

شعلة الوطنية وروح الوطن

شركة مصر للغزل والنسيج

بالمحلة الكبرى

فاقت بجودة منتجاتها كل إنتاج س—واها

وتبيعها جميلة متينة بأسعار معتدلة

شركة بيع المصنوعات المصرية وفروعها

وتجار المانيفاتورة بالقطر المصرى